ولقد أدى هذا الموقف الأستاذ الصعيدى إلى نتيجة هى عجب من العجب ، فالمصادر التى لقبت أبا العباس بالسفاح صادقة لأن ، أبا العباس عنده سفاح ، والمصادر التى لقبت عبد الله بن علىّ بنفس اللقب صادقة لأنه كان سفاحاً . والمصادر التى سكتت عن تلقيب هذا أو ذاك باللقب المذكور لا يصح الطعن بها فى رواية المصادر التى ذكرت هذا اللقب « لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ » وهى قاعدة مشهورة عند الأزهريين ويقول الأستاذ إنه لا يمكن أن أجادل فيها . وأنا لا أجادل فى القاعدة ولكن أجادل فى تطبيقها فليس هذا محل تطبيقها ، والمسألة ليست مسألة حفظ وتضييع ، وإنما هى مسألة تخليط وعدم تخليط ، فهل يسلم الأستاذ بقول من يقول « إن من خلط حجة على من لم يخلط » ؟

أما نحن فنظرنا إلى المصادر نظرة نقد وتقدير كما فعل الأقدمون من علماء الحديث ؛ فوجدنا أن أقدمها وأوثقها وأشدها تخصصاً بالرواية التاريخية لا تلقب أبا العباس بالسفاح، وتصور هذا الخليفة فى الصورة التى أجلناها غير مرة ، ووجدنا المصادر التى شوهت صورة هذا الخليفة ولقبته بالسفاح ونسبت إليه الفظائع هى من وضع رجال ليسوا متخصصين فى الرواية التاريخية الجدية ولا معروفين بالعدالة والضبط اللذين يعرف بهما أصحاب الرواية التاريخية القديمة كابن سعد والبلاذرى والطبرى وغيرهم . هذا هو موقفنا بإزاء المصادر القديمة من حيث موضوع « السفاح »

وبعد فلئن كنت حزنت لشئ وأنا أقرأ المقال الثالث والأخير للأستاذ الصعيدى فلقد حزنت للعبارة التى علق بها على جملة لابن العبرى المؤرخ المسيحى المتدين الزاهد . فقد قال ابن العبرى : « وكان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامى على أهل البيت » فعلق الأستاذ الصعيدى على ذلك بقوله : « إن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم » مع أن المؤرخ وهو يترجم لأبى العباس لم يسند إليه حادثة قتل واحدة ، ومع أن تاريخه السريانى المطول والمترجم إلى الإنجليزية لا يلقبه بالسفاح مطلقاً .

عبد المجيد العبادى

من وحى الفوضى !

الدكتور مبارك يناظر

للأستاذ شكرى فيصل

منذ أيام وقف الدكتور « زكى مبارك » يناظر الأستاذ « لطفى جمعة » فى موضوع : « يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية » . وكان طبيعياً أن يؤيد الدكتور المبارك هذه الفكرة وأن ينتصر لها ، ويدافع عنها ؛ ويجرد حملاته على خصومها ، ويسوق عليهم القوى والهجمات من منطق العقل ومنطق العواطف

وقد ود الناس لو سمعوا الدكتور خطيباً يرتجل حججه وسط هذا الحماس المضطرم ، وينتزع آراءه من قلب هذا التيار العاصف ، ويمتع سامعيه بلفتاته الذهنية البارعة . ولكن الدكتور زهد — كما يقول — فى البراعة الخطابية ، فانصرف عنها ، وأوى إلى قلمه فى ساعة من ساعات الفوضى والاضطراب فكتب خطابه فى دائرة محدودة وصفحات معدودة ونهج بيّن

وكان هذا فى الواقع صدمة شديدة الأثر ... تناثرت معها أمانى وأحلام . فالناس يعجبهم من هذه المناظرات أنها متعة من متع الفكر ، يستفيق فيها الحس ؛ ويتفتح معها الذهن وتضطرم فيها الحياة ، وتنبثق فى خلالها المعانى والخطرات كما ينبثق الماء النمير فإذا هم — هذه المرة — فى نطاق من الفكر ، وفى مدى من الجدل ، وفى مجال ضيق قد رسمت فيه الخطوط ، وعينت الاتجاهات وصدرت عن أصل مكتوب

ولئن فات الناس أن ينعموا ببراعة الدكتور الخطابية التى زهد فيها ، فقد عوضهم أن يروا نظارته المزدوجة (المتفلسفة) من فوق عينيه (١)

* * *

وأنا أشهد يا سيدى الدكتور أنك استطعت أن تأسر الناس ، وأن تأخذهم بالإعجاب بك ، والتصفيق لك ، والانسياق معك

(١) الدكتور يدعى أن لكل فيلسوف نظارتين . وأن له مثلهما !

فى هـذه الوديان المترعة بالحسن التى حملتهم إليها ، وهذه الربوع المليئة بالجمال التى دفعتهم نحوها ... وتلك الأجواء العبقة التى حلّقت بهم فيها ...

ولقد حدثتَ يا سيدى حديث العواطف الثائرة والشعور الطاغى والقلب الذى كونه النـار والصدر الذى اضطرم فيه اللهب ... وسمعك الناس تقرأ لهم صفحة من بلائك بالدنيا ، وصدامك مع الناس ، وحربك مع هـذا العالم ... وأنصتوا يصغون لهذا النشيد الدائم الخالد : نشيد « الأحلام والأوهام » و « الحقائق والأباطيل » و « الأزهار والأشواك » و « العقول والقلوب » ... فنفثت فيهم ببراعتك ولباقتك السحر والعطر والجمال ...

ولم تنسَ يا سيدى أن تقص علينا طرفاً من حياتك ... فأنت فى كلية الآداب ، ولكلية الآداب فى تاريخك صفحات وصفحات ... فَلِمَ لا تنشر هذه الصفحات فى مدرج الكلية ، وعلى عينى طلبتها وطالباتها ... ليروا مدى برّك بها ، وميلك إليها ، وغيرتك عليها ؟! ولم لا تغتنم هذه الفرصة فتضع أيديهم على أمور وأمور تعتقد أن من واجبك أن تنبه إليها ، وتتحدث عنها ؟! ...

وحديث ليلى يا سيدى ... حتى ليلى هذه كان لها فى خطابك نصيب ، وفى موضوعك حظ ... وفى أوراقك ذكر ... وكانت لميينك يمين ... ولجيشك جناح ...

ولقد استطعت يا سيدى بما آتاك الله من طلاقة ووهبك من اندفاع وبما أفضت من روعة ونثرت من رياحين أن تهدئ ثورات وتسكن نفوساً ، وتسكت غاضبين ... وأن تخرج من وسط الضجة الناقمة ، والصخب الثائر بالهتاف الذى ملأ الجو ، والتصفيق الذى كان يمثل نبضات القلوب الخافقة ...

وضمن لك هذا الأسلوب البارع ، وهذه القدرة الخطابية ، أن تمر بكثير من القضايا ... فتعرض على الناس طرفاً منها ووجهاً لها ؛ ثم تخلص منها إلى غيرها على أنها قضية مسلمة ، وحقيقة واقعة ... ولقد بلغت أكثر من ذلك ... حين خضت طريقاً شائكا وعراً ... وقدت الناس فيه ، وخرجت منه مظفراً ... لم تدم لك قدم ، ولم يقف فى طريقك ما يقف فى طريق الناس من عقبات وحواجز ...

ولكن ، أليس من حق الناس ، وقد انكسبت المعركة ، وظفرت بالنصر ، وانكسحت الخصوم الأقوياء ، أن يقفوا عند هذه القضايا التى طويت عليها كتابك أمس ... فيتحدثوا عنها ، وقد هدأ الحماس الثائر ، وسكنت الأكف المصفقة ، وتنفس الصبح عن الوضح المبين ؟ ! ...

* * *

نحن نحب أن نتساءل عن قولك: «إن أكثر أهل الجنة من البُله » . كيف استطعت أن تنجو معها من إخواننا الأزهريين الذين كانوا يملأون جنبات المدرج ؛ وكيف سكتوا عنها حتى لكأنك لم تمر بها ؟ ... إن تعليلك طريف حقاً ... ولكن هل ترضاه الآن بعد أن خرجت من ميدان المعركة ؟ !

وشىء آخر يا سيدى ... إنك تقول إن الأدب لا يزدهر فى البيئات الساكنة ، وإن رجال الدين ومن فى مثل منزلتهم لم يصدر عنهم أدب صحيح قيم ... فهل أنت مؤمن بهذه الدعوى العريضة ؟ ... وهل يستطيع أحد أن ينكر أن للبيئة الهادئة أدبها الهادئ الجميل ... وأن كثيرين من رجال الدين والمتدينين قد صاغوا من هذا الهدوء الذى نعموا به ، وهذه اللذاذات العقلية التى عاشوا فيها الوجدانيات من الأدب الرفيع ؟ !

وهل يغفل الإنسان عن الحقيقة الناصعة فى أن طائفة كبيرة من أدباء الشرق العربى فى الجيل الماضى وفى الجيل الحاضر هم من رجال الدين الذين قرأ لهم الناس الشعر ، وقرأوا لهم النثر ، وكانوا من عمد هذه النهضة الجديدة ؟ ! ...

أو ليس صحيحاً أن الأكاديمية الفرنسية تضم فيما تضم بعضاً من رجال الأكليروس ... أم أن ذلك كان بعد رجوع الدكتور من باريس ؟ ! ...

وماذا بعد ؟ إنى لأحاول أن أجوز إلى الناحية الثالثة التى استوقفتنى فى خطاب الدكتور لولا أنى أخشى أن أتهم بالعصبية أو الإقليمية أو الهوى ... وإنما هواى مع مصر ، وعصبيتى لها ... ولكن ما يمنعنا أن نكون أقرب إلى الدقة

وإلى الانصاف ؟! ... وهل يسب الحق إن هو لم يساوق بعض الأهواء الجامحة ؟!

ما على إذن إن أنا وقفت عند كلمة الدكتور : «إن مصر أقدر الأمم الإسلامية على التفكير الدقيق وعلى التأليف» وما عليَّ أن أتساءل ويتساءل معي كثيرون ، وأن نرجوا الدكتور أن يكون متئداً هادئاً ، لا يدل ولا يتيه فمصر زعيمة العالم العربي . وهي موطن أمله ، وموضع رجائه ، ومحط أمانيه ؛ وهي بلد رجاله ومنبت أبطاله ، ومبعث النور فيه ... ولكن هذا لا يعني يا سيدي الدكتور ألا تكون الأقطار الإسلامية الأخرى قادرة على مثل هذه الدقة في التفكير ، وهذه الكثرة في التأليف ...

والذين هم في مكان القيادة يا سيدي ، ليأخذوا بيد الضعيف ، ويمدوا في قوة العاجز ، ويغيروا السبيل للضال ... لا يعيبون على الضعيف ضعفه ، ولا يأخذون عليه عجزه ، لأن هذا لا يتسق مع تواضع النعمة ؛ وحق الأخوة ، وشكر الله ...

وفي الأقطار التي تعنيها يا سيدي نهضة وحركة ... وقدرة على (التفكير الدقيق) غير أن ألواناً من الجهاد تطغى على هذه النهضات ، وتكبت هذا النشاط ، وتقل هذه القدرة ، ونحاول أن تطغى شمل النور فيها ...

لقد كنت وقفت منذ حين أرد على الذين أعماهم الغرور في لبنان وغير لبنان ، فادّعوا الدعاوى وتقوّلوا الأقاويل وحاولوا أن يغمزوا الأدب المصري وأن ينالوا منه ، وأن يتعرضوا لطائفة كبيرة من الأدباء ... وأنا أجدني اليوم مضطراً أن أقف مرة ثانية موقفاً لا يختلف في حقيقته عن الموقف الأول ... فنحن في الأقطار الإسلامية الأخرى نؤمن بكل هذه الجهود التي تبذلها مصر ؛ ونحن نكبر هذا النشاط الذي يتراءى في أجوائها ساطعاً كالنور ؛ ونحن نغذي نهضتنا وأدبنا بكل ما ينطلق من قيثارة شعرائها ، وصفحات كتابها ؛ ونحن ننعم بهذا العطر الذي تنشره مع النسائم ، وهذا الألق الذي تشعه في سموات الفكر ... ولكننا نريد ألا نُغفَل هذا الإغفال ، ولا نُهمل هذا الإهمال

إن زعامة مصر أمر لا شك فيه ... وليس ثمة من يناقش في الأمور البديهية المسلّمة ؛ فلم نخرج بالأمور إلى مفاضلات ومقارنات لا تفيد في تقرير رأي ، ولا تنفع في الوصول إلى نتيجة ، ولا يكون من ورائها إلا اللغط ؟

وبعد ... فإن لك يا سيدي في قلوبنا حرمة ، وفي نفوسنا منزلة ، ونحن نحاول هنا أن نحملك على أن تجلو هذا الذي استغلق على الناس ، ولقد متّعتهم بصفحة رائعة ؛ ووقفت منهم موقف الخطيب الموفق ... واهتزت لك أفئدة وتولاك الإكبار من كل جانب ... وتهافتت عليك البطاقات معجبة راضية مغتبطة ، فتقبلتها باسماً ضاحكا مغتبطاً ... فهلاّ تقبلت معها هذه الكلمة ؟ ...

(القاهرة) شكري فيصل

(سجل تجاري ٥٢٢٧)